

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلقة التاسعة

ليشهدوا منافع لهم

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الصادق الوعد الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتزكية النفوس) . نتأمل في جانب من تزكية النفس من خلال منافع الحج ، كما في قوله سبحانه وتعالى {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ * ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } .

قال ابن عباس: {ليشهدوا منافع لهم} منافع الدنيا والآخرة، أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن، والذبائح والتجارات، وكذا قال مجاهد وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة كقوله: {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم}.

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، إن مما تزكو به النفس في هذه الموسم العظيم تحقيق النفع الأخروي المشار إليه في الآية الكريمة ، وذلك بالحرص على رضوان الله سبحانه وتعالى من خلال القيام بهذا النسك العظيم بإخلاص لله ومتابعة لرسول الله ص ، والإكثار فيه من أنواع الطاعات ، وصنوف القربات .

ومن المنافع الأخروية في هذا الموسم العظيم من يحصل للمسلم من الاجتماع والتعرف على إخوانه المسلمين من شتى بقاع الأرض ، تلك المعرفة والاجتماع على الذي يعود على الإنسان بالخير ، من التذكير بالله سبحانه وتعالى ، ومدراسة العلم ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على البر والتقوى فيما من شأنه تحقيق الخير لهذه الأمة، ولقد أمر

الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى ، كما في قوله سبحانه {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}

ومن المنافع الأخروية في هذا الموسم العظيم ما يحصل للإنسان من إعانة على طاعة الله سبحانه وتعالى ، وذلك مما يراه من كثرة الطائعين ، الخاشعين الخاضعين لله سبحانه وتعالى ، فيرى كثيراً ممن حوله ، ما بين راکع وساجد ، وقائم وقاعد يدعو الله سبحانه وتعالى ويتلو كتابه ، وما بين طائف بالبيت وساع بين الصفا والمروة ، وغير ذلك من العبادات المتنوعة في هذا الموسم العظيم ، فيكون هذا تنشيطاً للإنسان ، وعوناً له على طاعة الله سبحانه وتعالى .

ومن المنافع الأخروية التي يشهدها الحاج في هذا الموسم العظيم صلاته في المسجد الحرام ، تلك الصلاة التي ورد فيها الأجر العظيم ، لما في سنن ابن ماجه من حديث جَابِرٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ»^(١) .

ومما تتحقق به المنافع الأخروية وتركوا به النفس في هذا الموسم العظيم ، الصبر على مشقة النسك ، فإن الإنسان في الحج ربما تعرض لبعض المشاق التي لم يعهدها في حياته العادية ، كما يحصل له من شدة الزحام ، أو كثرة المشي ، أو عدم ملائمة المسكن أو المأكل والمشرب ، في هذه الأيام التي يقضي فيها نسكه ، لأنه يعيش ضروفاً صعبة في نواحي عديدة، فعلى سبيل المثال يجد الحاج صعوبة بالتنقل بين المشاعر سواء على سيارة ، أو ماشياً على قدميه ، لكثرة الزحام ، وربما قضى الساعات الطويلة في الانتقال من مكان إلى مكان . إضافة إلى ذلك ما يصيب الحاج من المشقة في الطواف أو السعي أو رمي الجمرات ونحو ذلك من الصعوبات التي يتعرض لها الحاج عادة . فعلى الحاج أن يمنع نفسه عن الضجر والسامة ، ويوطنها على الصبر، محتسباً في ذلك الأجر العظيم الذي وعد الله به سبحانه وتعالى الصابرين حين قال : {إنما يوفى الصابرون أجرهم

(١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، حديث رقم ١٤٠٦ .

بغير حساب} ، وإذا كان هذا الوعد للصابرين بشكل عام ، فكيف يكون جزاء الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى .

أخي المستمع الكريم ، أخي الحاج ، من المنافع الأخروية لهذا الموسم العظيم التي تكون سبباً في زكاة النفس أن يتأمل الحاج أنه تكبد المشاق ، وقطع الفيافي والقفار تلبية لنداء الله على لسان إبراهيم عليه السلام { وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق } وكل ذلك من أجل طاعة الله سبحانه وتعالى وطلباً لرضوانه . لا بد أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى طلب منه عبادات أخرى هي أيسر من الحج ، و لا تحتاج إلى تلك المشاق والأسفار ، لعل ذلك يكون دافعاً له ومنشطاً في الحرص على تلك العبادات .

فيكون دافعاً له للمحافظة على الصلوات الخمس ، تلبية لقوله سبحانه {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } . المحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل ؟ قال: «الصلاة في وقتها». قلت: ثم أي ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قلت: ثم أي ؟ قال «برّ الوالدين»، قال: حدثني بهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني. ومما يحسن التنبيه عليه في هذا الجانب ما يقع فيه بعض المسلمين من التهاون بالصلاة قبل أدائه فريضة الحج، فإذا حج حرص على أدائها . وهذا على خطر عظيم لأنه ربما أدركه الموت قبل أداء فريضة الحج ، ثم إن فريضة الصلاة فريضة مستقلة لا يتعلق أداؤها بأداء فريضة الحج .

أخي المستمع الكريم ، أخي الحاج ، ومما يجنب التنبيه له في هذا الجانب الحرص على سلامة النفس مما يكون سبباً في حرمانها من هذه المنافع العظيمة ، وذلك بالبعد عن الآثام، وخاصة إيذاء حجاج بيت الله الحرام ، إما بالقول أول الفعل ، ونرى في موسم الحج فئة من الناس لا يبالون في هذه الجانب ، فلا يتورعون عن إيذاء الناس في سبيل تحقيق مصالحهم، فتجد بعضاً منهم يؤذي الناس في الطواف أو السعي، بمزاحمتهم في سبيل أن يفسح لنفسه ومن معه . وتجد بعضاً منهم يؤذي الناس في الطرقات بسيارته في سبيل أن يسلك الطريق هو . ومنهم من يؤذي الناس

برفع صوته فيشوش على من حوله من الداعين والمصلين . ومنهم يؤذي الناس بالاستحواذ على المنافع العامة فيحرم الناس منها .

وعلى العموم يا حجاج بيت الله الحرام إن هذا الموسم هو فرصة لتحقيق المنافع الأخروية، التي هي سبب لزكاة النفس ، فلا بد أن يحرص الحاج على أن يكون له النصيب الأكبر من ذلك .

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيا وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم في حلقة أخرى أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .